## الفصل الخامس

# طالب الليسانس

* شبح الطالب المثالى الذى قاده إلى النجاح .
* حين لعب حارس مرمى .
* زميله يجيى حتى لم يكن يتوسم فيه النجاح .
* لطفى السيد رشحه للسفر فى بعثة إلى باريس .

* * *

## شبح الطالب المثالى

ترك مسكن الأعمام فى شارع سلامة بالسيدة زينب ، وهو طالب فى السنة الثالثة بمدرسة الحقوق ، وأقام فى منزل صغير بمفرده فى حىّ شبرا . وكان يجاوره فى هذا المسكن زميله فى الحقوق حلمى بهجت بدوى ، وزير التجارة والاقتصاد فيما بعد ، الذى كان مثالاً للجدّ والنشاط ، فجعله قدوةً له فى الإقبال على المذاكرة . يقول عن ذكرياته معه فى تلك الفترة ، أثناء المذاكرة لامتحان الليسانس :

– كانت نافذة حجرتى تطلّ على نافذة حجرته . كنت أبصر شبحه من حجرتى وهو مكبّ على كتبه تحت المصباح ، يستذكر المقرر فى جلد وإصرار ، وكنت كلما أعيانى الجهد ، وأخذ منى التعب ولعب النعاس بجفونى ، واصطدم رأسى بالكتاب الذى بين يدى من الإغفاء المباغت ، وحدثتنى نفسى اللعينة بترك كلّ شىء والذهاب إلى الفراش ، لاعنًا الليسانس ومتاعبها ، لاح لى شبح حلمى بهجت بدوى صامدًا كالصخر ، مواصلاً العمل والدرس بصلابة وعناد ، فأفيق لنفسى وأعود إلى كتبى وأكبّ مثله على المذاكرة .

وإذا كنت قد نلت ليسانس الحقوق فى ذلك العام الميئوس منه ، فإنه الفضل كان لظلّه الماثل أمامى عن بعد رمزًا للإرادة والإصرار .

نجحت فى الليسانس . ولم أصدق إلا بعد أن اطلعت على الصحف ، ووجدت اسمى قبل الاسمين الأخيرين . فحمدت الله أن قد وجدت اثنين أسوأ منى وكان فرحى عظيمًا ؛ فحسبى أنى نجحت ونلت الليسانس والسلام .

## حارس المرمى

ويروى نادرةً طريفةً من ذكرياته مع حلمى بهجت بدوى ، حين أغراه ذات مرة باللعب حارس مرمى فى لعبة الكرة الشراب ، التى كان يمارسها فى أرض فضاء خارج المدرسة ، فيقول :

–كنت أجتاز هذا الفريق المتحمس للكرة الشراب ، عند انصرافى من المدرسة دون أن أتوقف لألقى عليهم نظرة . إلى أن كان ذات عصر ، وجدت حلمى بهجت بدوى ، قد اعترض طريقى وقال لى : تعال قف حارسًا للمرمى فى فريقنا ؛ لأنه ينقصنا واحد . فلما اعتذرت بقولى : « إنى لا أعرف هذه اللعبة » قال : إنها من أسهل الأمور ، وما علىّ إلا أن أقف بين حجرين يمثلان المرمى ، وأمنع الكرة من الدخول بينهما .

وقبل أن أجيب كان قد أحاط بى هو وفريقه ووضعونى وضعًا وسط مرماهم ودار اللعب أمامى حامى الوطيس ، وتلاطم موج المتزاحمين من الفريقين ، وجعلوا يتدافعون بالمناكب ويتقاذفون الكرة بالأقدام ، واحتدم اللعب وعلا اللجب واشتدّ الضغط على المرمى الذى أنا حارسه ، وانتشر التراب فوسخ الثياب وثار الغبار فأعمى الأبصار وملأ الخياشيم ، فتركت المرمى إلى من ينعاه ، ورحت أسبّ مثل هذه اللعبة السخيفة ، وأسخر من لاعبيها ، وما من واحد منهم قد فطن فى زحمة الهجمة والمعمعة إلى أن المرمى خالٍ خاوٍ لا حارس له إلا الله .. على أن عين حلمى بهجت لم تلبث أن لمحتنى فاقترب منى وقال :

« أرجوك المسألة جدّ وتهمنا . ولا يصحّ أن نهزم أمام الفريق الآخر ، وأنت حارس مرمانا » فأثّر قوله فى نفسى ، ونهضت قائلاً له : « اطمئن لن نهزم أبدًا . ولن تدخل الكرة مرمانا أبدًا » .

ووقفت فعلاً بين حجرى المرمى ، ولكنى أمام هجمة من الفريق الآخر كنت أزحزح الحجرين بعيدًا دون أن يشعروا . وأصبح بذلك مرمانا متنقلاً متحركًا لا يمكن أن تصل إليه كرة الخصوم أبدًا .

## الكبار والصغار

وقد كان من بين زملائه فى مدرسة الحقوق يحيى حقى ، الذى كتب عن ذكرياته معه فى كتاب « خطوات فى النقد » يقول :

– مازلت أذكر السنة النهائية لى فى مدرسة الحقوق ، عام مضى بأكمله ، وليس بينى وبين توفيق الحكيم إلا أقل من نصف متر ، ومع ذلك لا أذكر أنى كلمته أو حييته : شاب نحيل ، أصفر الوجه ، بارز العينين صموت ، على رأسه أقصر طربوش فى الفصل ، ولو قيل لى يومئذ إن جارك هذا سيصبح نجما فى سماء الأدب لا ستخففت بالنبوءة ، ولا ستهزأت بالقائل . وكنت أحكم عليه سرًّا وأقول إنه شاب أبله !

ولا أدرى لماذا كان طربوشه القصير ، دلالة مؤكدة عندى على أنه من أولاد الذوات المدلعين !

فى الصينية حكمة تقول : « لو كان فى القدر أن تراه لرأيته ولو كان فى آخر الدنيا ، ولو كان فى القدر ألا تراه ، لما رأيته وهو أمامك » .

وقد سألت الحكيم عن رأيه فى هذا الكلام ، فقال :

– إن يحيى حقى رجل قزم ، ونحن الكبار لم نكن نعرف الصغار .

## بسبب اللغة الفرنسية

ولم يكن طالب الحقوق متقدمًا فى الدراسة ، فرسب كعادته فى امتحان النقل من السنة الأولى إلى الثانية ، كما رسب من قبل فى تلك السنة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية .

ويعلل سبب الرسوب فى هذه المرة إلى ضعفه فى اللغة الفرنسية ، التى كانت لغة المراجع الكبرى فى القانون ، فتلقى دروسًا خاصة فى مدرسة برليتس للغات الحية خلال فترة الصيف ، أفاد فيها كثيرا من مدرسة فرنسية ، أفهمته أن اللغة لاتستقيم إلا بالقراءة ، فطالع تحت إرشادها « رسائل طاحونتى » لالفونس دوديه ، وبمعاونة قاموس « لاروس الصغير » .

وأحب رسائل كاتب آخر سهل الأسلوب هو أناتول فرانس . ثم قادته تلك اللغة إلى التمكن من البحث فى المراجع القانونية الكبرى والمطالعة فى عيون المسرح الفرنسى

## لطفى السيد والبعثة

وفى عام ١٩٢٤ حين بلغ السادسة والعشرين ، حصل على الليسانس بقدرة قادر ، لأنه كان مشغولا بالتأليف المسرحى ، ولم يكن يشعر بأى ميل

للاشتغال بالمحاماة أو النيابة ، لكن والده بادر بقيد اسمه فى جدول المحامين المشتغلين . واختار له المكتب الذى يزاول فيه عمله كمحام .

ولما رأى والده عدم حماسه لهذا العمل ، صارحه قائلا :

– تعال قل لى . أنت غرضك تشتغل بالتشخيص ؟

فقال له ملطفًا العبارة :

– أنا أحب الأدب . وأريد الاشتغال بالأدب .

فقال بلهجة حزن ونصح وتحذير :

– أنت تريد أن تفعل كما فعل لطفى ؟

– لطفى من ؟

– لطفى السيد ، كان زميلنا فى القضاء ، فجعل يقول الأدب الأدب ، إلى أن ترك القضاء واشتغل « جورنالجى » ولم تنفعه شغلة الجرائد ، فعاد إلى الوظيفة وساعده الزملاء القدماء من أمثال صدقى باشا وثروت باشا فوضعوه فى النهاية فى مخزن اسمه « دار الكتب » .

وذلك قبل أن يصبح لطفى السيد رئيسا للجامعة المصرية أو وزيرا .

ثم كان له الفضل فيما بعد بإقناع والده فى سفره إلى أوروبا ، فقد قاده يومًا إلى صديقه وزميله القديم فى دار الكتب وقال له :

– هذا ابنى توفيق . حصل على ليسانس الحقوق ، وقيد فى جدول المحامين المشتغلين . لكن ميله متجه إلى الأدب .

فبدا على وجه لطفى السيد الارتياح ، وبادر يؤيد رأيًا سبق أن خطر لوالدى وتردد فيه ، وقال :

– ارسله إلى أوربا يحضر للدكتوراه ، فإذا عاد بها عين أستاذًا فى الجامعة

التى تزمع الحكومة إنشاءها وفتحها قريبا ، أو فى القضاء المختلط ، حيث الإقامة فى مدن كبرى كالقاهرة أو الاسكندرية أو المنصورة ، مما يتيح له إشباع هوايته للأدب فالتفت الوالد نحو ابنه وقال :

– أظن هذا هو الحل .

وأخذ الوالد يعد الترتيبات لإرساله فى تلك البعثة بقصد إبعاده عن الحياة الفنية فى مصر .

وقد كان على ماهر باشا رئيس وزراء مصر فيما بعد مديرا لمدرسة الحقوق ، وكان من بين زملاء دفعته الدكتور محمد حلمى بهجت بدوى وزير الاقتصاد ومصطفى مرعى وزير العدل ومحمد زكى عبدالمتعال وزير المالية وعبدالكريم الرفاعى محافظ البنك المركزى والدكتور مصطفى القللى عميد كلية الحقوق والأديب يحيى حقى . وكان من بين زملائه أيضا إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس وزراء مصر فيما بعد ، لكنه لم يتقدم للامتحان معه فى ذلك العام بسبب القبض عليه فى قضية سياسية .

* * *